حق العودة مقدس وقانوني وممكن (1)

سياسة الترحيل والتوطين من أعمدة الفكر الصهيوني الثابتة

إلى عمل عربي موحد لمقاومة مشاريع التوطين

سلمان أبوسته، باحث فلسطيني
السفير، بيروت، عدد 8381، 24 - 8 - 1999، صـ 17

تطلع علينا الصحافة من وقت لآخر ، بأخبار مشروع جديد للتوطين يقدمه الاسرائيليون أو اليهود الامريكيون أو المعاهد الموالية لهم ، بغرض التخلص من مشكلة اللاجئين لمصلحة اسرائيل وعلى حساب الدول العربية والدول الأخرى وذلك بترحيلهم إلى أي مكان في العالم عدا وطنهم فلسطين .

والمشروع الأخير قدمته المحامية اليهودية دونا آرزت ، وتبناه مجلس العلاقات الخارجية في الولايات المتحدة وطاف به على الدول العربية في المشرق والخليج ، ولكنه قوبل بالرفض القاطع .

الترحيل (الترانسفير) عقيدة صهيونية

لم يجتمع الصهاينة على شيء مثل إجماعهم على طرد الفلسطينيين من بلادهم تنفيذاً لمقولة "أرض بلا شعب " . كتب هرتزل في 1895/6/12 : " سنحاول طرد المعدمين خارج الحدود بتدبير عمل لهم هناك ، وفى نفس الوقت نمنعهم من العمل فى بلدنا " . وفي نيسان 1905 قال اسرائيل زانغويل : " يجب أن نستعد لطرد القبائل العربية بالسيف مثل أجدادنا " . أما جابوتنسكى فكان ينطق بوضوح ما كان يخفيه بن جوريون إذ قال في تشرين الثاني 1939 : " ليس هناك خيار . يجب أن يخلي العرب المكان لليهود فى أرض اسرائيل ، شكراً لله ، فنحن اليهود لا ننتمى إلى الشرق ، لذلك يجب أن نكنس الروح الإسلامية من أرض اسرائيل . " أما يوسف وايتز ، مساعد بن جوريون ومؤسس أول لجنة ترانسفير في الاربعينات فقال " نريد فلسطين خالية من العرب . "

النكبة

ما أن بدأ الغزو الصهيوني عام 1948 ، حتى سارع الصهاينة بتحقيق ما كانوا يخططون له سنوات طويلة ، ونفذوا بالقوة العسكرية عملية طرد الفلسطين من بلادهم تحت ستار الدفاع عن النفس . وأصبح بذلك أهالي 532 مدينة وقرية – وعددهم آنذاك 805,000 – لاجئون في الضفة وغزة والبلاد المجاورة ، وأصبحت أراضيهم التى تمثل 92% من مساحة اسرائيل الحالية نهباً لمهاجرين تستقدمهم اسرائيل ، ولاتزال ، ليحلوا محلهم . ولم يحدث في التاريخ الحديث مثل آخر لهذه النكبة ، إذ تمكنت أقلية أجنبية من غزو أكثرية وطنية واحتلت أرضها وطردتها من ديارها ، بدعم مالي وسياسي من الخارج .

ولتغطية آثار هذه الجريمة البشعة ، اقنعت اسرائيل الغرب بأن هؤلاء اللاجئين مشكلة عربية ، لان العرب هم الذين اعتدوا على اسرائيل ، ولأن اللاجئين خرجوا طوعاً أو باوامر عربية ، وأن مسئولية ايوائهم وتوطينهم تقع على عاتق الدول العربية . وبعد أربعة عقود من الزمن ، كشفت الملفات الاسرائيلية التى درسها " المؤرخون الجدد " كذب هذا الادعاء ، وأكد هؤلاء المؤرخون ما كان يقوله مئات الالوف من اللاجئين ، شهود عيان على مأساتهم .

مشاريع التوطين

بعد النكبة وإفشال اسرائيل لمحادثات لوزان ، بدأت المحاولات الغربية لاضفاء العقلانية على هذا الطرد ، باعتبار أمراً واقعاً يجب التسليم به ووضع الحلول له . وفى عام 1949 ، صدرت دراسة عن المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية فى لندن ، تقترح توطين اللاجئين فى سوريا والعراق وشرق الاردن ، وتستثني لبنان ،

لانه مكتظ بالسكان وتركيبته معقدة . ثم ظهرت دراسات متعددة ، أهمها مشروع جونستون لتوزيع المياه العربية (1954 – 1956) الذى كان يهدف إلى تخصيص جزء من مياه الاردن واليرموك لتوطين الفلسطينيين فى الضفة الشرقية من النهر . وحاولت تلك المشاريع استعمال الاونروا أداة لهذا التوطين ، فقاومها اللاجئون بالاضرابات وتحطيم مكاتب الوكالة .

واستمرت اسرائيل فى عمليات الترانسفير . فى 1950/9/2 إقترف مجرم الحرب شارون ، قائد الوحدة 101 ، مذبحة في حق عرب العزازمة جنوب فلسطين وطردهم إلى مصر وفى عام 1951 طرد موشي ديان سكان المجدل ، الذين بقوا فى ديارهم ، إلى غزة . واعتبرت اسرائيل الفلسطينيين الباقين فيها أسري حرب من 1948 إلى1966 ، وصادرت أملاكهم ، بغرض ترحيلهم . وكشفت الملفات حديثاً أن غرض مذبحة كفر قاسم في عملية هافار فيريت هو طرد ما تبقي من الفلسطينيين . وفى أعوام1958 -1953 ، وضعت اسرائيل خطة لتوطين اللاجئين فى ليبيا بمبادلة بعض أملاكهم بأملاك اليهود فى شمال أفريقيا مقابل هجرة هؤلاء إلى اسرائيل . وفي نفس الفترة ، اقترحت اسرائيل ضم قطاع غزة بأهلها مقابل توطين اللاجئين في العريش .

التوطين بعد 1967

بعد حرب 1967 ، تضاعفت مساحة الارض العربية المحتلة عدة مرات ، وزاد عدد اللاجئين، فبعضهم هاجر مرة ثانية ، وبعضهم هاجر لأول مرة ، وأصبح نازحاً . وإذ زاد شعور اسرائيل بالانتصار ، سنت قوانين جديدة تسهل استيلاء الدولة على أراضي اللاجئين ، بعد أن كانت تتعامل مع هذه الاراضي بحذر ، ترقباً لتسوية ، أو صلح أو حرب .

وبينما أصبحت مشكلة اللاجئين مشكلة متفاقمة ، ازداد اصرار اسرائيل على إيجاد حل لها على حساب العرب واللاجئين أنفسهم . وفى السنوات التالية لعام 1967 حتى اليوم ، صدر ما لا يقل عن 30 دراسة لمؤلفين ومخططين يهود بجنسيات اسرائيلية وامريكية وغيرها (ولم يصدر عن غيرهم) ، كلها تعتمد على تأكيد مبدأ الصهيونية فى الترانسفير وترحيل الفلسطينيين من أجل إحضار مهاجرين يهود جدد . وتأخذ هذه الدراسات طابع أبحاث أو ندوات (قد يشترك فيها بعض العرب والاجانب لاضفاء طابع دولي) أو دراسات من معاهد للعلوم السياسية . ثم تأخذ هذه الأفكار تدريجياً صورة ورقة عمل ، أو اقتراحات دولية مشتركة ، ما تلبث أن تتبناها حكومة الولايات المتحدة ، ثم تعتمدها كسياسة تضغط بها على الدول العربية والاوربية . وأخذاً في الاعتبار الوضع المتهالك للسياسة العربية ، قد تجد هذه الدراسات اذناً صاغية ، لو أمن الحكام العرب غضب شعوبهم . وأوضح مثال على ذلك الأسلوب هو دراسة دونا آرزت الأخيرة .

خطة آرزت : الترحيل المغلف بالإنسانية .

دونا آرزت محامية يهودية أمريكية ، أصلها من يهود لاتفيا ، وهي أستاذة في كلية الحقوق في جامعة سيراكيوز ، وهي عضو في جمعيات إسرائيلية عديدة ، وكانت ناشطة في تأمين هجرة اليهود الروس إلى إسرائيل ، وتقضي أوقات فراغها في تربية القطط والاستشارات القانونية لجمعية الشاذين من طلبة الحقوق .

عنوان كتابها مشوق ومثير : " من لاجئين إلى مواطنين : الفلسطينيون ونهاية الصراع العربي الاسرائيلي " . وتحزن آرزت على معاناة الفلسطينيين خلال نصف قرن وتقدم الوصفة الناجعة لآلامهم بترحيلهم إلى كل بلاد العالم عدا وطنهم . وهي تحرص على أن يقل عدد اللاجئين في الضفة وغزة حتى لا يسبب ذلك قنبلة ديموغرافية لاسرائيل في المستقبل ، ولا تري أن يعود اللاجئون إلى ديارهم في اسرائيل بالطبع . وحتى لا يشعر الفلسطينيون بالغربة في استراليا مثلا ، فإنها تمنحهم جوازاً فلسطينياً بجانب أي جنسية أخري يحملونها . وهذه الهدايا كلها مشروطة بشرط أساسي وهو تخلي الفلسطينيين تماماً ونهائياً عن أي مطالبات لهم . وبذلك تبقي الأرض الفلسطينية ملكاً شرعياً خالصاً لاسرائيل تستقبل فيه اليهود الروس والأحباش وغيرهم .

ولا تكتفي المؤلفة بعرض هذا المشروع النازي ببرود أعصاب ، بل تلجأ إلى التزوير لتمرير خطتها البشعة . إذ تقتبس المؤلفة (جدول 1/4 صفحة 88 (أرقاماً عن عدد الفلسطينيين من مكتب الاحصاءات الامريكي . وبالرجوع إلى الأصل ، يتضح أن هذا الرقم يغطي البلاد العربية فقط . وهذا التزوير مفيد لانه يجعل ارقام المرحلين معقولة ، فضلاً عن ان تقدير التقرير الامريكي منخفض أصلاً .

ولكي تخفي المؤلفة بشاعة خطة الترانسفير ، فهي تقفز قفزتين : الأولي في الزمن من 1995 إلى سنة 2005

، والثانية في المكان من مكان اللجوء الحالي إلى مكان الترحيل الجديد ، وتدمج القفزتين حتى لا تتضح معالم الجريمة . لقد قمنا بفصل هاتين المرحلتين وقمنا بدراسة كل مرحلة كما هو مبين في الجدول المرفق . العمود الأول يمثل الوضع النهائي ، كما تقترحه المؤلفة اليهودية . ولكي تصل إلى هذا الوضع ، تقترح ترحيل اللاجئين كما هو في العمود الثاني) الترحيل من البلد بالناقص بين قوسين ، والترحيل إلى البلد بالزائد بدون قوسين) ، وتقترح توطينهم بالارقام والبلاد المبينة في العمود الثالث . وهذا تفصيل خطة الترحيل :

غزة

تري المؤلفة ان اكتظاظ قطاع غزة مصدر قلق لاسرائيل ، ولذلك يجب تخفيف الكثافة السكانية بترحيل 690,000 منها . ولكن إلى أين ؟ إلى مواطنهم في المجدل والمسمية واللد والرملة ؟ هم يطيرون فوقها فقط ليستقروا في الضفة المقرر لها استيعاب 844,000 لاجيء جديد .

الاردن

تري المؤلفة أنه يكفي أن يتواجد في الاردن عام 2005 ما لا يزيد عن 2 مليون فلسطيني بعد توطينهم توطيناً كاملاً هناك . ويبقي لديها فائض 375,000 . ماذا تفعل بهم ؟ لا يزال هناك مجال لاستيعاب 140,000 في الضفة ، إن لم يكن في ديارهم ، فبالقرب منها على الأقل ، والباقي إلى بلاد الله الواسعة . ونسأل كيف يعود إلى الضفة 140,000 فقط ، مع ان النازحين (بعد 1967) إلى الاردن يصل عددهم الآن إلى مليون ؟ السبب واضح .حتى لا يسبب ذلك إزعاجاً لاسرائيل ، ولكي تكون المنطقة المحيطة بها مخلخلة السكان وتقوم بدور الحاجز بينها وبين دول الطوق

لبنان

يشغل لبنان المؤلفة كثيراً ، لقرب اللاجئين من موطنهم في الجليل ، ولوجود المقاومة اللبنانية العنيدة ، ولان اللاجئين في لبنان أكثرهم سخطاً على أحوالهم وأقدرهم على التعبير السياسي . لذلك ترى أنه يجب تفريغ لبنان من الفلسطينيين الذين تقدرهم عام 2005 ب 375,000 ، فهي تقترح ترحيل 300,000 منهم إلى بلاد الله الواسعة ، وتوطين 75,000 منهم في لبنان ، لماذا هذا الرقم السحري 75,000 ؟

اسرائيل

تخص المؤلفة اسرائيل ، المسئول الأول والمستفيد الأكبر من طرد اللاجئين ، بأخف الأعباء وأقل الاعداد وأصعب الشروط . فهي تساوي اسرائيل بلبنان وتطلب منها عودة 75,000 فقط إلى ديارهم في الجليل ، وتضع شروطاً تعجيزية لدخولهم : ان يكون لهم أقارب من الدرجة الاولي هناك (!) وأن يثبتوا أنهم لا يكرهون اسرائيل الخ الخ ، وإذا رفضت اسرائيل طلباتهم يمكنهم الاستئناف لدي لجنة دولية الخ وعقم هذا الاقتراح لا يخفي على أحد . ولم تعر المؤلفة اهتماماً لاصرار ترومان ، حامي اسرائيل ، عام 1949 على أن يعود 300,000 لاجيء إلى ديارهم في المنطقة التى احتلتها اسرائيل زيادة عن خط التقسيم (24 % من مساحة فلسطين) . ولو تم ذلك ، لكان عددهم اليوم 2,400,000 . ولما تأكدت اسرائيل أن امريكا ستمنع دخولها إلى الامم المتحدة ، وافقت على إدخال 100,000 ، إنخفض بعدها الرقم إلى 65,000. ووضعت للباقي شروطاً تعجيزية تحت عنوان " لم الشمل . "

فلماذا تغفل المؤلفة ذكر ذلك ؟ ولماذا تغفل المؤلفة الاشارة إلى أن عودة 75,000 اليوم تعني عودة 9000 لاجيء فقط عام 1949 ، وهو عشُر الرقم الذى وافقت عليه اسرائيل آنذاك . ولماذا تعمد المؤلفة إلى تزوير الارقام ، فحسب تحليلنا المبين في العمود الثاني من الجدول ، الرقم الحقيقي الذى تقترحه المؤلفة للعودة إلى اسرائيل هو 14,087 فقط .

سوريا

تري المؤلفة أن سوريا بلد كبير وأن اللاجئين فيه يعاملون معاملة السوريين . ولذلك هي تقترح توطين اللاجئين عدا عدد رمزي (60,000) تريد ترحيلهم إلى مكان آخر في بلاد الله الواسعة .

وهكذا تسعي هذا الخطة الجهنمية إلى ترحيل 1,544,000 من أماكن في فلسطين وحولها ، وتجد مكاناً ل 844,000 في الضفة ، والباقي 700,000 تسعي الخطة إلى ترحيل نصفهم إلى الجزيرة العربية والنصف الآخر إلى بلاد أخرى من استراليا حتى آلاسكا . هذا حسب أرقامها المزورة . أما حسب تقديرنا ، فإنها تريد ترحيل 2,593,000 لاجيء ، منهم 950,000 مناصفة بين الجزيرة العربية والعالم ، والباقي (1,643,000) أمرهم مجهول . وهؤلاء المرحلون والموجودون أصلاً في تلك البلاد سيتم توطينهم هناك هذا ما ترمى إليه الخطة . وكم يعود بعد هذا من اللاجئين إلى ديارهم؟ قلة لا تساوي عدد المهاجرين الروس في شهر .

الدور الامريكي

من المعلوم أن الخطط الصهيونية هي مسودة السياسة الامريكية . في آذار1997 زار وفد من مجلس العلاقات الخارجية ومن مجلس النواب الامريكي عدداً من البلاد العربية واقترح الوفد على دول الخليج توطين 35,000 فلسطيني سنوياً في كل دولة لمدة عشر سنوات . وهذا رقم يبدو صغيراً ، لكن المجموع يصل إلى مليوني شخص وهو ما يطابق خطة المؤلفة اليهودية .

ورداً على ذلك ، أصدر مجلس الجامعة العربية في دورته رقم 107 بتاريخ 30/12/1997 قراراً برفض التوطين ، وأصر على تطبيق حق العودة حسب القرار 194 ، وإحياء لجنة التوفيق المكلفة بتنفيذ حق العودة ، والتى لا زالت مكاتبها مفتوحة في الامم المتحدة . كما أصدر مجلس التعاون الخليجي قراراً في 6/7/1997 برفض اقتراح مجلس النواب الامريكي بالتوطين .

واليوم يدور لغط شديد في لبنان حول مشاريع التوطين المشبوهة . ولذلك لابد من إتحاد جهود الشعبين اللبناني والفلسطيني على مقاومة هذه المشاريع بالعمل الجاد الدءوب ، شعبياً ودولياً ، والاصرار على تطبيق حق العودة ، الذى هو مقدس ، وقانوني ، وممكن . هذا العمل الموحد هو الوسيلة الناجحة لتحقيق الأهداف ، وليست هناك فائدة من التناحر وإلقاء اللوم على طرف أو آخر ، لان هذا ما تسعي إليه هذه الخطة وأشباهها . والخلاف هو المنفذ الوحيد الذى تتسلل منه امثال هذه الخطط للاضرار بحقوق الشعبين اللبناني والفلسطيني . والطريق الصحيح هو اتحاد الاهداف والوقوف معاً إلى جانب الشرعية الدولية التى أيدت حق العودة في الامم المتحدة 110 مرات ، في إجماع لم يشهد له العالم مثيلاً .

وهذا لا يتعارض أبداً مع حرية اللاجئين في العمل والعيش في اماكن اللجوء والتمتع بالحقوق المدنية الذى هو حق من حقوق الانسان . بل على العكس ، فإن إنكار تلك الحقوق يدفع اللاجئين إلى خيارات صعبة ، وهذا ما تسعي إليه اسرائيل .

الجدول (١)

مكان الاقامة	(١) الحل النهائي	(٢) المطلوب ترحيلهم	(٣) المطلوب توطينهم
اسرائيل	١,٠٧٥,٠٠٠	(١٤,٠٨٧)	١,٠٧٥,٠٠٠
قطاع غزة	٤٥٠,٠٠٠	(٦٩٠,٩٤٨)	٤٥٠,٠٠٠
الضفة الغربية	٢,٤٠٠,٠٠٠	٨٤٤,١٦٢	١,٥٥٥,٨٢٨
الاردن	٢,٠٠٠,٠٠٠	(٢٧٥,٢٤٦)	٢,٠٠٠,٠٠٠
لبنان	٧٥,٠٠٠	(٤٠٧,٢١٠)	٧٥,٠٠٠
سوريا	٤٠٠,٠٠٠	(٥٦,٥٠٩)	٤٠٠,٠٠٠
باقي البلاد العربية	٩٦٥,٠٠٠	٣٨٥,٩٦٩	٥٧٩,٠٢١
العالم	٩٠٠,٠٠٠	٣١٣,٩٦٨	٥٨٦,٠٣٣
المجموع	٨,٢٦٥,٠٠٠	....	٦,٧٢٠,٩٠١

خطة الترانسفير والتوطين